(٩)

الإنسان وموائده
محمد وموالده

حديث الجمعة

١١ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ - ٢ سبتمبر ١٩٦٠ م

سـبحان الله!

سبحان الله المنزه عن الحصر والعـد!

سبحان الله المنزه عن القديـم والجَـدّ!

سبحان الله المنزه عن الأولية والآخرية!

سبحان الله المنزه عن القبلية والبعدية!

سبحان الله المنزه عن الشـهادة والغيب!

سبحان الله المنزه عن الإحـاطة والقيـد!

سبحان الله المنزه عن القرب والبعـد!

سبحان الله المنزه عن الغيـر والعيـن!

سبحان الله المنزه عن العلـم والجهـل!

سبحان الله المعروف بلا كتـاب ولا نبي!

سبحان الله المنزه عن الوصف، الموصوف عند أهل محبته بأهل محبته!

سبحان الله المنزه عند أهل قربه عن قربه!

سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله!

نعبده لما هو له أهل، ونطلبه بما هو له أهل، ونستغفره بما نحن له أهل. لا إله إلا الله، ولا موجود بحق إلا إياه. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وبكل ثناء جدير. لا يُوفيه حقه من ثناء إلا ما وصف به نفسه، وأظهر به أمره. لا إله إلا هو. لا نعبد سواه. ولا نلجأ ونرجو إلا إياه.

عباد الله! اجعلوا لكم من كل يوم تمرون به حصيلة من عبرة، ما جعلتم لكم في هذا اليوم من كل ذكر فكرة. ها أنتم في مثل هذا اليوم من كل عام تذكرون مولد جهاز لرسالة بتبليغ من رسالات رسول الله، على ما عُرف بينكم، وقيده ظنكم في اسم وذات بمحمد. فأنتم إذ تحتفلون اليوم بهذه الذكرى لمولد إناء لبلاغ بكتاب من كتب المحيط بكم، حَمَله مُبلِّغ، على سنن من سبق في رسالة الله التي لا نعرف لها بداية، والتي نعلم أو نقول إننا نعلم أنها تقوم بلا نهاية. وكيف يكون لها نهاية ولم يتم لها بعد على الأرض غاية؟!

إن آدم البلاغ وآدم الدين.. إن آدم العلم وآدم اليقين.. إن آدم الإنذار وآدم الحساب.. إن آدم البيان وآدم الخطاب، كلهم عبد في عباد الرحمن. عبد في عباد الديان. يظهرهم الله على هذه الأرض ومن هذه البشرية، - ما كانت على الأرض بشرية وما ستبقى عليها بشرية - باصطفائه ورحمته وعدله. بقيام عبد له من عباد. في دورة للرشاد تنتظم بها حركة وقانون الطبيعة.

فإذا ما اصطفى من بين الناس رجلا من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم ويزكيهم فقد تواجد لهم بينهم آدم بيان وآدم عرفان وآدم رحمة وآدم إنذار. فإذا ما دارت دورة الناس بدورة الأيام بين النور والظلام، وبدورة الفصول الكبرى بين اليأس والابتسام، وبدورة الأرض في فطرتها، وبدورة الشمس في جذوتها، فاصطفى الله من بين الناس من يقيم عدله وقد تعرضت للاختلاج موازينه بطغيان النفوس على النفوس، فاصطفى من أنفسهم لهم آدما يقيم بينهم عدله، ويُقوِّم فيهم أمرهم أمره، فهذا آدم الحساب، هذا علم الساعة، هذا آدم الملك رفيع الدرجات، {فريق في الجنة وفريق في السعير}[1].

هذا قانون من قوانين الله أقام به سليمان يوما عبد عدل ومظهر إحسان على عالم الجان. وأقام به عيسى عبد رحمة ومظهر سلام وبيان على عالم الإنسان. فجاء من نحتفل بمولده جماعا للعبدين وقبلهما، وقياما للأمرين وبعدهما لأن الله جمع فيه زمانا، وزمانا، وأزمانا، وجمع في عصره جنود حق وعسكر بهتان. فبعثه بمولده رسول رحمة، وسيف عدل، ولسان صدق، وسفينة أمان.

فكان بهذا اليوم الذي نحتفل به مسلمين، ويحتفل به أدعياء الانتساب إليه ممن يسمون أنفسهم بالمسلمين وما له أسلموا وما بربه آمنوا. كان بهذا اليوم ذكرى بعث محمد من محمدين من الغيب إلى

الشهادة، وليد الطهارة في الناس.. وليد الحق في الناس.. وليد الروح للناس.. وليد النور للناس.. من أبويه كريمين، وأبويهما من أبويهما كريمين، وأبويهما إلى ظهر آدم وبطن حواء.. حتى كان خلاصة من الناس، فكان في مولده رحمة من الله بالناس. وكان في مولده شمول رحمة الله للناس. (زويت لي الأرض)[٢] (وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا)[٣].

عرف الله في نفسه كما عرف نفسه في الناس، فعرف الله في الناس من نفسه، وعرف الله في نفسه من الناس. فكان حيَّهم بموتهم.. كان نائمهم بموته فيهم. وكان موعدهم بكتابه. وكان قائمهم بثوابه. العبودية له لربه فرض من الله عليه يقوم فيه في نفسه وفي الناس، لا يتخلف عن أدائه بكرة وعشيا. فهو عبد الله في النور، وهو عبد الله في الظلام. هو عبد الله في النوم وهو عبد الله في القيام. هو الناس في افتقارهم إلى رب الناس، وهو الناس يأويهم الغني الحميد.

هذا فرضُه في دينه فرضه الله عليه، وفرضه هو على نفسه من قبل ومن بعد. حيا مسكينا، ونام مسكينا، وبعث مسكينا، وحشر مسكينا، وقام على الحوض مسكينا، وقام بين يدي ربه مسكينا، وقام بين الناس مسكينا، وقام على الناس مسكينا، قياما بفرض الله عليه وبفرض نفسه على نفسه عبدا لله.

تنفل لربه فكانت نافلته الربوبية على الناس، تهجد من الليل نافلة له من مظلم النفوس، وبعث على الناس في المقام المحمود، فكان لهم الحق المشهود والرب الموجود والغيب المقصود.

رسول الله! حق الله! وصف الله! إنسان الله! وجه الله! كتاب الله! كلام الله! نور الله! وحدانية الله! صمدانية الله! ما ظهر رسول الله وعبد الله بذلك لنافلة من الليل في نفس يتهجد بها، إلا كان صاحب حظ عظيم، إلا كان الإنسان يطلب الله في نفسه على ما علمه. يطلب الرب في حسه على ما كلمه. يعرف الغيب في عجزه على ما أفهمه.

اتخذ الله ورسوله هواه، ورجاء معناه، وآمن بقرب الإله، وبقرب رحمة رسول الله، فكان بنفسه ثالثهما. وكان الغيب كله وكلهما. الله ورسوله في وحدانيته - ربا أو رسولا - وهو معهما في وحدانيته -عبدهما وعينهما - يدعو إلى الحضرتين بالحضرتين، ويرجو الحضرتين بالحضرتين. يشهد أيهما بالأخرى ويُشهد بأيهما وبهما لمن طلب الله معه. سَمِعه فأسمعه، وشَهِده فأشهده، وطلبه فوجده. وفتح له مغلق النفوس فيها أوجده.

كل هذا جاء به من نذكر في مولده، وليدا في إناء بلاغه. وما عرفنا له بلاغ! وما أحسنا له استماع! فقد ولد محمد في آدم الذي نذكر، وما ذكرنا آدم إلا ذكرناه -كما ولد في مولد كل إناء في كلمة من آدم -

إذا عرفناه - وأنه بعد تمام بلاغه، وبعد بداية كماله وقيام اتباعه، كان رحمة للعالمين وأسوة للناس أجمعين. فتهيأت الأسباب له، وتهيأت الأسباب للناس به أن يولد في موالدهم - ما استقامت أمورهم، وأمور آبائهم من قبلهم - وتهيأت أسباب الرحمة لهم ولأبنائهم من بعدهم.

إذا أحسن الناس فهم الإيمان بمحمد، لاحتفلوا بمولده في موالدهم وموالد آبائهم وأبنائهم. إنه الوليد في موالد آبائهم ما اعتقدوه، والوليد في موالد أبنائهم ما طلبوه، والوليد في موالدهم ما أحبوه، فتجدَّدوه.

إن محمدا أسوة للناس، ونورا شاملا من الله إليهم. تواجد بينهم مبعوثا بنور الله يمشي به في الناس، أخرجه من ظلمات النفس أسوة لمتابعيه ومتابعيهم ..ضالا فهدى، وعائلا فأغنى، ويتيما فآوى..

ما كان يتيما أووي في حقيقته - وهو رسول الله ونوره - لا بدء لله له في وجوده، ولا بدء لرسالة الله في جوده، ولكنه وصف واتصف يتيما فأووي، وضالا فهدي، وفقيرا فأغني، حتى يكون للناس أسوة بخليقته لخلائقهم ولما هم فيه من قطيعة تتهيأ لهم أسباب الوصلة والاتصال، ولما هم فيه من ضلالة، تتهيأ لهم به أسباب الهدى والعلم.

إن الذي نحتفل بمولده يولد في كل لمحة ونفس بين ظهراني الجنس في موالده من موالدهم، ويدخل في كل لمحة ونفس ظاهر الجنس ببعث الراحلين الصالحين من موتاهم. إنه شقي الحياة ووحدتها. إنه جماع الناس، كما هو جماع الحياة. إنه صاحب هذه الدار ببعثه فيها من داره. وهو صاحب هذه الدار بما خَلَّف عليها من نفسه من الحق وقد رجع إلى داره.

ليست هذه الدار داره ولكنها دار آدمها وذي قرنيها وعذرائها وزهرائها وروحها من قد سها. إن لها نفسها العذراء في بدايتها فيها، ولها ذو قرنيها في عدلها وجزائها لأهلها منها، ولها آدمها وعين معناها وقيامها محيطًا ببنيه راعيا لمراعيه غافرا لمجافيه.

إن الأرض في ذاتها وملحقاتها إنسان لله وكلمة لله وشجرة لله لها فروعها، وأبناؤها في سموات الله منها وعليها وقد أصبحت زهراء باسم الله عذراء في قيام الله آدم في قيام نفسها. زهراء في قيام فروعها باسم الله. بيتا لله ودارا لله بوحدانية الله.

إن محمدا يوم قال (جعلت الأرض لي مسجدا وطهورا)[٤]، ويوم قال (زويت لي الأرض وتبلغ أُمتي سيبلغ ما زوي لي منها)[٥] إنما كان يعرف ويبشر الناس معنى ما قال لهم الله على لسانه في بيانه {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[٦] {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب}[٧] فكان محمد عبده. كان محمد عبده وكتابه وأم كتابه عنده. إمام مبين وكتاب مبين أسوة للعالمين.

أدبه فأحسن تأديبه، وقومه فقوم طريقه، وعرفه فحل عقدة من لسانه وأظهر للناس بيانه.

هذا هو محمد الذي نحتفل اليوم بمولد جلبابه ولا نتعظ بدوام ثيابه، ولا نطلب بيننا جديد إهابه، ولا نطلب قيامنا له جلبابا، وفيه ثيابا.

محمد القلوب. محمد العقول. محمد النفوس. محمد الذوات. محمد القيام. محمد الغيب. محمد الفطرة. محمد الآيات. محمد الأوادم. محمد الكلمات.

أي محمد نعني؟ وبأي محمد نحتفل؟ ... لو عرفناه لأمضينا الحياة في الاحتفال به. فهو الموجود المتوالد مع الأنفاس. وهو الموجود المتطور مع الإحساس. أي محمد نعرف؟ وبأي محمد نحتفل؟ عَرفه من بيننا من عَرف، وشَرُفَ به من بيننا، من شَرُفَ، فرسالته لا تتعطل ورحمة الله معه لا تتوقف. ولكنا نعيب على أنفسنا، ونعيب على عقولنا، ونعيب على متوارثنا - وقد أرسل كافة للناس - ألا ينتفع به سائر الناس؟

إن فيه من الخير، وبين يديه من الحوض، ما يكفي لسائر الناس - ريًّا وسُقيًا - وما يكفي لتنوير الناس، إشراقا ونورا. وما يكفي لإحياء الناس حقا وعدلا...

ولكن ذلك تعطل في الناس، من صنع الناس، وبصنع الناس، يريدون أن يطفئوا نور الله في سرج قلوبهم، وفي مشكاة صدورهم، بأفواههم، يخرجون أنفاسهم عاطلة عن ذكره وذكر ربه، خالقين لأنفسهم في ظلام من فعلهم. وهو الذي دعاهم لأن يتخلقوا بأخلاق الله، فيخلقون أنفسهم بأسماء الله، ويمحون ظلام وجودهم بذكر الله.

هذا هو دين محمد، أدان به الناس، كما رحم به الناس. رحم به صاحب حظ من سعادة، وأدان صاحب حظ من شقوة.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الحظوة بالحظوة به، وأن لا يجعلنا من أهل الشقوة والحرمان بالحرمان منه.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أستغفر الله لي ولكم ولسائر الناس، وأستهديه وأسترحمه، وأسأله أن يولي أمورنا خيارنا، وأن لا يولي أمورنا شرارنا، وأن يعافينا من إقامة عدله، وأن يقيمنا في رحمته برحمته... لا إله غيره ولا معبود ســـواه.

أضواء على الطريق

{ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}[٨] (حديث الإحاطة)

(إذا سمعتم من بين شفتي الوسيط الذي أتكلم من خلاله ما يثير منطقكم أو يتعارض مع حب الروح الأعظم، ما هو سفه أو مهين لذكائكم فاعلموا وقتئذ أن يومي قد حان وأني قد فشلت)

عن السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الشورى - ٧

٢ من الحديث الشريف: "إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أَمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ..." أخرجه مسلم في صحيحه.

٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أَعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأَحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٤ حديث شريف: (فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أَعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وأَحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٥ من حديث شريف: (إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أَمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ...) أخرجه مسلم في صحيحه.

٦ الأنبياء - ١٠٧

٧ الكهف - ١

٨ سورة آل عمران - ١٥٩